

دار الكلمة

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧ م



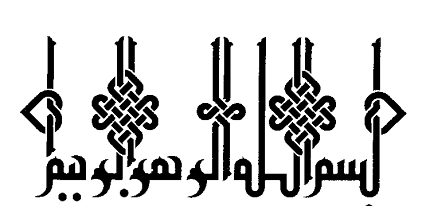
دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر ـ المنصورة

٣٨ ش الثورة (السكة الجديدة) ت ، ف: ٣٤٣١١٥ ص. ب:١٦٧



وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه

أبو الحسن عليّ النّدوي


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

هذا الكتاب

الأستاذ / **واضح رشيد الندوى**
رئيس التحرير لجريدة «الرائد»

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد، فهذان مقالان كتبهما سماحة الشيخ المربى الجليل أبو الحسن على الحسنى الندوى لمؤتمرات إسلامية وجهت الدعوة إليه لحضورها فى السودان ، وقطر، والكويت ولم يستطع سماحته حضورها لأسباب صحية ، فوجههما كرمز للاشتراك الفكرى والعلمى فى هذه المؤتمرات [١] ، ويعالج المقالان واقع العالم

---

(١) وأخيراً تحققت زيارة قطر فى ١٣/ إبريل ١٩٩٥م بدعوة من وزارة الأوقاف ، وتحدث سماحته فى عدة مناسبات ، وسينشر بصورة مستقلة من وزارة الأوقاف بقطر .

الإسلامى المرير ، ووسائل إخراجه منه .

ومن أتيحت له فرصة الاطلاع على فكر سماحة الشيخ الندوى يعرف أنه عندما يتحدث عن العالم الإسلامى ، يتحدث عن العالم كله ، فواقع العالم الإسلامى واقع العالم كله ، لأن العالم الإسلامى جزء حاسم للعالم ، تعكس على العالم العام أحداثه ووضعه ، والعالم العام كذلك له تأثير على العالم الإسلامى ، وخاصة بعد أن انحرف العالم الإسلامى عن موقف العطاء وموقف الرقابة الفكرية والحضارية على العالم العام ، ودخل فى مرحلة التلمذة والاقتباس من العالم غير الإسلامى وخاصة أوربا ، التى غزته سياسيًا وفكريًا وثقافيًا ، وقطعت صلته بتاريخه ومنابع قوته .

وعندما يتحدث سماحته عن واقع العالم الإسلامى يتحدث عن مسئولية كل مسلم ودوره فى انتشال العالم الإسلامى من البحر الهائج المائج

للأفكار والمعتقدات والتصورات التى تتعارض مع أفكاره وتصوراته الأصيلة لإعادته إلى عهد مجده وسيادته .

يرى سماحته أن العالم الإسلامى اليوم رغم الطاقات والإمكانيات الواسعة التى يملكها اليوم، ورغم الحكومات الكثيرة ، والنسبة المرتفعة لأعضاءه فى المنابر الدولية ، ورغم حاجة العالم إلى ثروته وذخائره الكثيرة التى أغناه الله بها ، أهون وأذل وأضعف وأخف فى الميزان السياسى من أى زمن مضى، وقد زالت هيبته على النفوس التى كانت سائدة فى العصر الماضى ، عندما كان أضعف ماديا، وأقل ثروة ، وذلك لأن العالم الإسلامى اليوم ليس له حساب فى ميزان القوى ، فلا يخشى ولا يرجى ، ولا ينفع ولا يضر، ولا يقدر على فرض رغبته، والتعبير عن موقفه بحرية ، وأسوأ من ذلك أن المسلمين فى الزمن الأخير أصبحوا يرجون

ولا يخشون وينفعون ولا يضرون، فلا مناعة لهم ولا وقاية ، وهو خلاف الطبيعة ، وقد قال الدكتور العلامة محمد إقبال :

«إن الوردة الجميلة لا سلامة لها ولا صيانة إذا كان الشوك الذى خلق ليحوطها ويصونها من الأيدى العابثة قد انحرف عن فطرته، وأصبح حريراً ناعمًا ، إذن فلا بقاء للوردة ولا حرمة لها » .

لقد كان المكسب الأكبر لأعداء الإسلام ــ وهم من سوء الحظ أصدقاء قادة العالم الإسلامى، ورقباؤهم اليوم وكانوا يكيدون له منذ الفتح الإسلامى الأول ــ أن يزيلوا شوكة المسلمين ، ويجردوهم عن عوامل وقايتهم وصيانتهم من الأيدى العابثة .

ومن المؤسف المقلق أن النظم القائمة فى البلدان الإسلامية بدلا من مواجهة هذا الوضع بواقعية ، مشغولة اليوم بالقضاء على البقية الباقية من الجمرة

الإيمانية التى كانت مصدر صمود هذه الأمة ، والتى بها برزت فى الميدان الحقيقى وتحدت القوى الأجنبية، وانتصرت .

يبحث سماحته المخططات والمؤامرات العالمية لإخماد هذه الجمرة الإيمانية فى قلوب المسلمين ، ثم يبحث وسائل إبقاء هذه الجمرة الإيمانية بل تقويتها، وإشعالها فى النفوس للتغلب على الوضع المؤلم والواقع المخزى الذى يعيش فيه العالم الإسلامى اليوم، ويدعو إلى الطريق الربانى المشرق المؤسس على الكتاب والسنة، وعلى الزهد فى حطام الدنيا، والانصراف إلى الآخرة ، والاشتغال بذكر الله لنجر هذه المجموعة الكبيرة إلى بر السلام، إلى حقيقة الإسلام وإلى ماضى هذه الأمة .

وإلا ، فإن العالم الإسلامى سيصبح كما قال أمير البيان الأمير شكيب أرسلان، بحراً كبحر العروض بحراً ولا ماء ، ويقول سماحته: إن بحر

العالم الإسلامى لا يزال بحرًا فائضًا بالماء، تضطرب أمواجه فى الداخل وتتعارك ، لكنه انقطع عنه الفيضان إلى الخارج وإرواء الأراضى القاحلة وإزالة العقبات والحواجز فى سبيل الهداية العالمية وتوجيه الإنسانية ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

إن البلاد الإسلامية فى العَدَد والعُدَد والقوة العسكرية للإسلام والدين الإسلامى هى قوة لا تزال موجودة فى نفوس المسلمين على علاتها ومحنها ومؤامرات حبكت حولها ويمكن الاستفادة منها ، وتسخيرها لغايات لا تعود على هذه الأقطار الإسلامية، بل تعود على العالم المتمدن المعمور بخير لا يعدله خير ، وبسعادة لا تساويها سعادة .

إن المقالين لهما صلة وثيقة بالواقع الذى يعيش فيه العالم الإسلامى ، وهو واقع صراع الأفكار

والمذاهب والانحرافات الفكرية والثقافية ، والانقياد التام للتيارات الغربية الجارفة والصراع بين الحكومات والشعوب ، واتساع الفجوة بينهما، وغلبة روح المقاومة والقمع فى الجو العام بين مختلف الفئات على المستوى الحكومى والشعبى ، وتقدمان حلا وسطًا يتطابق مع طبيعة الأمة الإسلامية ويسير مع تاريخها، وتعاليمها الموروثة ، وقدراتها المودعة فيها وصالحا للقبول لدى جميع الدوائر .



بسم الله الرحمن الرحيم

واقع العالم الإسلامى

سادتى وإخوانى ! إنى أتحدث إليكم فى هذا اللقاء الكريم عن « واقع العالم الإسلامى » اليوم ، وفى الحقيقة أتحدث إليكم عن واقعنا جميعا ، فهى مسئولية مشتركة وأمانة جماعية ، وكنت أتمنى أن أتحدث عن واقع مشرق جميل زاهر ، يسر المؤمنين ويسر أصحاب الواقع ، ويسر المتحدث ، وإننى بدورى أستطيع أن أصور العالم الإسلامى تصويراً رائعاً جميلا ، فإن اللسان يستطيع أن يعطى واقعًا حالكًا كئيبًا ، صورة جميلة مشرقة ، والقلم أقدر من اللسان على ذلك ، ولكن سيكون واقعًا خياليًا أسطوريًا لا صلة له بالحقيقة ، والواقع ، فسأكون أمينًا وصريحًا فى تصوير هذا الواقع ، وإن لم أسر المستمعين الكرام ، ولم أدخل على نفسى السرور ،

فالرائد لا يكذب أهله .

إخوانى ! التناقض فى حياة فرد عادى ، لغزة تحتاج إلى حل وفك وإلى ذكاء ، فكيف إذا كان التناقض فى مجتمع كبير ، وكيف إذا كان فى عالم واسع الأرجاء، كبير الأهمية، مجيد التاريخ، والتناقض الغريب الذى أريد أن أتحدث عنه فى هذه الأمة ، هو أن العالم الإسلامى لم يكن فى زمن من الأزمان أكثر حكومات ، وأوسع مساحة جغرافية وأعظم أهمية سياسية ، وأغنى فى الطاقات والإمكانيات ، وأملك للوريد فى الجسم الصناعى ، لم يكن العالم الإسلامى، فى حد دراستى ، وقد درست تاريخ الإسلام سياسيًا وفكريًا ، وعلميًا ، وروحيًا ، فى إطار واسع ، وأستطيع أن أقول فى ضوء دراساتى : إننى ما وجدت العالم الإسلامى فى هذا التاريخ الضخم الكبير الحجم ، الواسع مساحة زمنية ، لم أجد العالم الإسلامى فى فترة

من فترات التاريخ أغنى وأقوى ، وأوسع منه فى هذا الزمان ، ولكنى أقول لكم ، والحزن يملأ قلبى، والخجل يعتقل لسانى ، إن العالم الإسلامى مع هذا الحول والطول ومع هذا العدد الكبير من الحكومات ، لم يكن أهون ، ولا أذل ، ولا أخف فى الميزان السياسى الدولى منه فى هذا الزمان ، وهذا تناقض تحار فيه الألباب .

إن العالم الإسلامى فى الحقيقة كان قد ضعف فى روحه المعنوية وفى شخصيته ومميزاته من زمان ، ولكن كان له اسم كبير ، وكانت له مهابة وسطوة، كانت هنالك الدولة العثمانية، على علاتها ومحنها، كالسور المنيع للشرق العربى ، لا يجترئ كثير من الحكومات أو الشعوب الحاقدة ، أن تتسور هذا السور ، ويهين المقدسات الإسلامية والبلاد التى كانت تحت حماية الدولة العثمانية ، وقد كان شرف العالم الإسلامى وكرامته منوطة بهذا الجزء

المقدس الحبيب إلى المسلمين فى العالم ، وكان للدولة العثمانية الاسم الكبير، الحافل بالأمجاد والبطولات ، فكان يصرف الناس عن الامتحان لقوته الحقيقة ، وكان هنالك « نظار » (١) أو مجدار (٢) على التعبير العربى القديم ، وهو العود الذى ينصبه الفلاح فى مزرعته ، ويلقى عليه شيئًا من الثياب . فيتصور الغربان والطيور أن هنالك إنسانًا واقفًا ، فلا تتجاسر أن تقع فى هذه المزرعة وتسبب فيه ضررًا، فإذا سقط هذا النظار أو المجدار بريح عاصفة مثلا ، أو عاثت فيه بعض الحيوانات الجريئة فأسقطته ، هنالك تعرف الطيور أنه ليس هنالك ما يخاف فتساقط عليها وتتلفها ، فكانت الدولة العثمانية ، والتصور الكبير الضخم الذى تحمله ، وكانت

(١) النظار : الخيال المنصوب بين الزرع ، والناطور حافظ الكرم أو الزرع ، والكلمة سريانية .

(٢) ما ينصب فى الزرع لطرد الطير والوحش ، ويقال له الفزاعة أيضًا .

الانطباعات التى كان يحملها الدارسون للتاريخ الإسلامى ، والتصور الكبير الضخم الذى كان أكثر من الحقيقة ، يمنع كثيرًا من الشعوب التى كانت أقوى من الدولة العثمانية ، وكان فى إمكانها أن تسيطر على بعض الممتلكات العثمانية ، ومحمياتها بسهولة ، من أن تجرب الوقوع فى هذه الحمى ، فلما سقط هذا النظار أو المجدار ، أصبحت المزرعة مالا سائبًا ونهبة لكل ناهب وأصبحت الحمى مفتوحة لا حارس لها .

هذا مثل للعالم الإسلامى إذا قسنا العالم الإسلامى بمقياس الروح الإسلامى ، وبمقياس القوة الإيمانية ، والقوة الحربية الحقيقية ، فقد كان تخلف فيها تخلفًا كبيرًا منذ أمد بعيد ، ولكن كانت له رهبة وسطوة .

إن الحقيقة العالمية الخالدة أيها السادة ! إن الفرد لا يحترم إلا إذا كان يخشى ويرجى، والجماعة لا

تحترم إلا إذا كانت تخشى وترجى ، وتنفع وتضر ، وكذلك الحكومات والمجتمعات ، لا يحسب لها حساب إلا إذا كانت تخشى وترجى، وتنفع وتضر ، وتستطيع أن تضر ولو لم تفعل ذلك ـ بإرادة وقصد ـ مدة طويلة ، ولكن يجب أن يعرف الناس أنها تملك قوة النفع والضرر ، وإن لم تستعملها ، أن الفرد ولو كان حقيراً تافها كالنملة قد تخشى ، لأنها تستطيع أن تقرص ، والعقرب تخشى لأنها تستطيع أن تلسع ، والحية تخشى لأنها تستطيع أن تلدغ ، والكلب يخشى لأنه يستطيع أن يعض ، ولو حيل بينه وبين ذلك سنين وأعوامًا ، وكان كلبًا مدللا أليفًا ، فلابد من التوازن الصحيح وهو وجود صلاحية النفع ، ووجود صلاحية الضرر فى وقت واحد.

فكان لابد أن يملك المسلمون بصفة أمة ، ويملك الفرد المسلم بصفة فرد ، القدرة على النفع والضرر،

وإن لم يضر كما قلت لشرفه ، ولسماحته، وإنسانيته الرفيعة ، وسمو رسالته ، ولو لم يأت منه الضرر والأذى قرونا عديدة ، لا بأس ، ولكن ليعرف أهل الزمان أنه بمكان يرهب فيه، ويخشى بأسه، يقول الله تبارك وتعالى وهو رب العالمين ، وأحكم الحاكمين: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [١] .

فأصبح المسلمون فى الزمن الأخير ، يرجون ولا يخشون ، وينفعون ولا يضرون ، وهذا وإن كان موقفًا شريفًا فى علم الأخلاق والنفس ، وفى العلم النظرى والفلسفات النظرية الخيالية ، وإن كان يدل على شرف الرجل وعلى فضله ، وعلى نبله ، وعلى تمسكه بالمبادئ السامية ، ولكن الفطرة البشرية منذ أن فطرها الله تعالى تعودت أن تخضع للقوة

(١) الأنفال : ٦٠ .

ولما عند الفرد أو الجماعة من قدرة الإضرار ، والدفاع عن نفسه وأخذ الثأر لها ، يقول الدكتور العلامة محمد إقبال :

« إن الوردة الجميلة لا سلامة لها ولا صيانة إذا كان الشوك الذى خلق ليحوطها ويصونها من الأيدى العاتية ، قد انحرف عن فطرته وأصبح حريرًا ناعمًا ، إذن فلا بقاء للوردة ولا حرمة لها » .

واسمحوا أن أنشد البيتين باللغة الأردية ، لأنى أرى هنا عددًا من إخواننا الباكستانيين والهنديين ليتذوقوا الأبيات فى لغتها ، يقول إقبال :

تميز خار وكل سى آشكارا
نسيم صبح كى روشن ضميرى
حفاظت پهول كى ممكن نهين هى
اكر كانلى مين هو خو ئى حريرى

يقول : إن نسيم الصباح يعرف طبائع الأشياء

فيربى الوردة على طبيعتها الخاصة وهى النعومة والرقة وينشئ الشوك على طبيعة أخرى منافية وهى الشدة والعنف ، وهذا يدل على فراسة النسيم العليل البليل الذى يهب صباحًا ، يدل على وفائه بالرسالة التى نيطت به وهى وضع الشىء فى محله، فإذا أصبح الشوك الذى يحيط ويصون الوردة الناعمة ، الوادعة البريئة ، حريرًا ناعمًا ، فلا بقاء للوردة ولا سلامة لها ، فكذلك لابد للعالم الإسلامى الشريف النبيل صاحب الرسالة السامية ، والمبادئ السماوية ، والتعاليم الربانية ، حامل الرحمة الإنسانية ، وصاحب قلب خفاق ، يذوب للإنسانية الضعيفة ويسيل رقة ورحمة ، كان واجبًا أن يكون هذا العالم الإسلامى يملك ما يرهب وما يخشى ، يملك السياج المنيع ، والسور العالى ، والجند الجاهز ، ولكن أصبح العالم الإسلامى اليوم ترجوه كل المعسكرات الآن ، المعسكرات على تناقضها فى المبادئ وعلى ما بينها من منافسة

ومحاربة ، تلتقى على الانتفاع بالعالم الإسلامى وحلب درته وامتصاص دمه .

كلها تنظر إلى العالم الإسلامى كمادة ثرية ، ولكن ليس معسكر من المعسكرات الآن ، وليست حكومة من الحكومات الكبيرة التى تتحكم الآن فى مصاير الأمم ، وفى المسيرة الإنسانية تخشى العالم الإسلامى فتحترمه ، إنما نسمع كلمات الاعتراف لبعض الحكومات الإسلامية والعربية ، وكلمات الاحترام فى أحيان أخرى ، ولكنها كلها سياسة ونفاق، ليس فى قلب أحد من هؤلاء الساسة ، والقادة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب خوف من العالم الإسلامى فى الحقيقة .

ثم زاد الطين بلة ، أنه قد عرف العالم الغربى أن هذه الحكومات التى كان يمكن أن تخشاها مشغولة بشعوبها ، مشغولة بالصحوة الدينية التى ظهرت فى هذه البلاد ، إنها فى شغل شاغل ، إن

همها الوحيد أن تقضى على البقية الباقية من الجمرة الإيمانية فى هذه الشعوب ، فهى لا تجد فرصة ، ولا تجد مجالاً لأن تبرز فى الميدان الحقيقى وتتحدى القوة الأجنبية المحاربة للإسلام كالصهيونية أو الصليبية الحاقدة ، أو أن تنهض للانتصار لقضية إسلامية من قضايا الشعوب الإسلامية المضطهدة .

ومن المؤسف أن قادة البلاد الأجنبية يعرفون هذه الحقيقة وهذا الوضع ، أحسن وأكثر مما يعرفه كثير من إخواننا الذين يعيشون هذا الواقع ، وعندهم تفاصيل دقيقة ، ودراسات عميقة لواقع العالم الإسلامى اليوم ، هم يعرفون أن الجمرة الإيمانية التى كانت تخشى فى الزمن القديم وهو الاستهانة بالحياة والحنين إلى الشهادة ، قد انطفأت فى صدور المسلمين أو كادت تنطفئ ، وكان هؤلاء القادة الأجانب يعرفون أن المسلمين يندفعون لهتاف الإيمان ولا يفهمون إلا لغة القرآن والدين ، وأنهم لا

يندفعون إلا لما فيه أجر الآخرة ، ولما فيه رضا الله تبارك وتعالى ، إن عدداً من الأقطار الإسلامية كسبت المعركة مع العدو وتغلبت عليه بفضل الهتاف بالشهادة فى سبيل الله ، والهتاف بالجهاد فى سبيل الله ، ولكن لما انتهى هذا الدور وخرجت من المعركة ، فأول ما تحاول وتصرف جهودها إليه هو القضاء على هذه الجمرة الإيمانية ، إلى الآن لا تزال الصلة الأقوى التى تربط المسلمين بمصدر القوة التى تأتى بالمعجزات ، هى الصلة بالله تبارك وتعالى ، وبرسوله ، ولا تزال روائح الجنة تفوح مهما حاول السياسيون ، ولا تزال الجمرة الإيمانية كامنة فى الرماد، ولكن أكثر قادة البلاد عادوا لا يربطهم رباط بهذه اللغة الإيمانية والحمية الإسلامية ، وقد ضعفت الصلة بينهم وبين مصادر الإيمان، إنه جيل قد نشأ فى أحضان الحضارة الأوربية ومراكز الثقافة الأجنبية والتعليم الغربى العلمانى فى بلادهم ، وكليات

التربية العسكرية فى عواصم أوربا، وأساتذتهم ومربوهم يعرفون أنه قد أفلت الزمام من أيديهم ، وانقطع الخيط الذى كان يربطهم بالمجموعة الإسلامية وبالجماهير المسلمة ، واستبدلوا به خيطًا سياسيًا ، والأوربيون يعرفون أن هذا الخيط إذا نفع وأفاد فى بلده ، فإنه لا ينفع فى بلد إسلامى ، منهم من درس القرآن ، ومنهم من درس تاريخ عصر الصحابة ومنهم من درس تاريخ صلاح الدين الأيوبى ، وتاريخ الغزوات الإسلامية، وتاريخ الدعوة إلى الإسلام ، فهم يعرفون أن الخيط الذى يربط قادة البلاد بالجماهير المسلمة ليس فيه قوة أبدًا، إنه ينقطع سريعًا ، إن هذه الجماهير على ما أصابها من الوهن وعلى ما أصابها من أدواء وعلل ، وعلى ما أصابها من تدهور ، لا تزال تندفع للهتاف الدينى والإيمانى فى كل مكان .

لقد أصبحت الأمة الإسلامية الآن هدف المآسى

والمهازل فى وقت واحد ، لماذا؟ لأننا هازلون ، وهزيلون ، العالم الإسلامى أصبح هزيلا وهازلا ، لا جد فيه ، تزورون العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، من الشرق إلى الغرب، تجدون هناك بطرا وترفا، تجدون هناك فيضا من ملاهى، وملاعب، هل هناك تناسب ، تناسب بين ما نعيشه ونمط الحياة الذى نحياه فى هذه المدن الآمنة المطمئنة وبين ما يقع فى الجزء الآخر فى العالم الإسلامى، هل إذا زار أحد من زوار الخارج ورأى هذه المدن ، هل يستطيع أن يفهم أن هذا جزء من الجسم الإسلامى، الذى تقطع أجزاؤه ، فى ناحية أخرى ، هل هذه الأمة هى نفس الأمة ، هذه الأمة التى تسبح فى بحر من البذخ ، هل هى الأمة التى أصبحت هدفا فى لبنان وفى أفغانستان، وفى البوسنة، وفى الهند ، هل هم كلهم أعضاء الأسرة، والرسول ﷺ يقول: «مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم ، وتعاطفهم كمثل الجسد إذا

اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (١) .

يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدةً وأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون** ﴾ (٢) هل نحن أمة واحدة، يقول بعض المستشرقين ، انهزم الإسلام مرات عديدة سياسيًا ، ولم ينهزم روحيًا ، وحين انهزم سياسيًا هزم الفاتح المسخر المدمر روحياً .

يجب أن تخمد هذه المعركة الدامية الحامية، هذه المعركة غير الطبيعية ، هذه المعركة الصناعية التى استنزفت جهود القادة والسادة ، وولاة الأمور والمفكرين فى بلادنا الإسلامية، يجب أن تخمد وتنتهى هذه المعركة غير الحقيقية التى هى حامية بين الشعوب والجماهير والحكومة، فالحكومات تتجه اتجاهًا آخر ، والشعوب تتجه الاتجاه القديم الإسلامى إلى الآن ، لا الحكومات نجحت فى جر

---

(١) حديث متفق عليه .	(٢) الأنبياء : ٩٢ .

هذه الشعوب والجماهير المسلمة إلى الابتعاد عن جادة الإسلام ولا الجماهير نجحت فى إقناع هؤلاء الحكام والملوك فى استخدام الطاقة الذرية الهائلة التى هى كامنة فى نفوس الجماهير المسلمة وهى قوة الإيمان التى هى أقوى من الطاقة الذرية ، فإذن من الحكمة ومن المعقول والنصيحة ، ومن التوجيه الرشيد السديد أن تنتهى هذه المعركة المصطنعة التى تحتدم ، هذا الصراع النفسى ، والصراع العملى الذى يحتدم بين من يملك الزمام ، سواء من يملك زمام التربية ، أو زمام السياسة ، أو زمام القيادة والذين نشأوا فى أحضان الثقافة الأوربية، وبين الشعوب المسلمة الوادعة المخلصة البريئة الصادقة، الوفية ، الزاكية الزكية ، البقية النقية، أليس من الخير ، أليس من المعقول أن تنصرف كل الجهود، والطاقات إلى استخدام هذه القوة التى لا يزال المسلمون يملكونها ، قوة الإيمان ، قوة الفداء، والوفاء للإسلام، وبذل النفس لله تبارك وتعالى؟!

وهذه هى القوة الكامنة التى لا بديل لها والتى يرجع إليها فضل البطولات الخارقة للعادة المحيرة للألباب أشار الله إليها بقوله: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما﴾(١) .

ثم لابد أن ينهض هؤلاء الربانيون الذين ذكرنا بعض النماذج من سيرتهم ومن دعوتهم للإسلام، فى كتابنا «رجال الفكر والدعوة » و «ربانية لا رهبانية» فإن الربانيين الصادقين ، الراسخين فى العلم المتبعين للسنة ، فيهم وحدهم قدرة على تربية النفوس على الإيمان والإسلام والخلق المستقيم، والتمرد على المادة والشهوات، والتغلب على المغريات المعاصرة ، كان ما زال فى العالم الإسلامى هذا النمط من الربانيين، ما خلا منهم عصر، ولكن اجتمعت عدة أدوات لمحاربة هذه

(١) النساء : ١٠٤ .

الربانية الصافية، فأقول كما قال الحطيئة:

أقلــوا عليهــم لا أبــا لأبيكــم
من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا

لنملأ فراغ الربانية المشرقة الصادقة المؤسسة على الكتاب والسنة، وعلى الزهد فى حطام الدنيا والانصرف إلى الآخرة ، والاشتغال بذكر الله تبارك وتعالى، واستحضار الآخرة، حتى نستطيع أن نجر هذه المجموعة الكبيرة إلى بر السلام ، إلى حقيقة الإسلام وإلى ماضى هذه الأمة.

أما بغير ذلك ، فإن العالم الإسلامى إنما أتحرج أن أقول ، ولكننى أقول لأنه قد قال قبلى مفكر كبير وهو أكبر الكتاب فى عصره أمير البيان الأمير شكيب أرسلان يقول: «كاد أن يكون العالم الإسلامى بحراً كبحر العروض ، بحراً ولا ماء ».

ومع احترامى لأمير البيان واعترافى بخبرته وإخلاصه أقول إن بحر العالم الإسلامى لا يزال

فائضًا بالماء ، تضطرب أمواجه فى الداخل وتتعارك، ولكنه قد انقطع عنه الفيضان إلى الخارج وإرواء الأراضى القاحلة وإزالة العقبات والحواجز فى سبيل الهداية العالمية وتوجيه الإنسانية و ﴿ **لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾[1] .

هذا هو واقع العالم الإسلامى الذى نشاركه جميعًا ولو كنت منفردًا وفى عزلة عن هذا الواقع لما اجترأت أن أقول هذا، ولكنى أشارككم كأى مسلم وكعربى ونصيبى ليس أقل من نصيبكم ، فيسوغ لى أن أتكلم بهذه الصراحة ، لأنى لا أشهد على أنفسكم ، ولا على هذه المنطقة ، ولا على البلاد العربية فحسب ، بل أشهد على نفسى ، وعلى إخوانى ، وعلى من أزاملهم وأشاركهم، وأتعاون معهم .

---

(١) الروم : ٤، ٥ .

وأريد أن أقول: إن الواقع الرهيب الذى نواجهه الآن ونشعر بخطره على وجود الإسلام والمسلمين كأمة ذات رسالة وعقيدة ودعوة وشرف وحرية، هو أن الذكاء اليهودى والشطارة اليهودية ومراميها لبسط نفوذها على العالم وتحويل العالم كله ـ بما فيه من عقائد وآداب وحضارات وقيم ومعايير ـ إلى بساط للشطرنج يلعبون عليه بحرية ويستطيعون تحويل ما عليه من دمى ولعب من جانب آخر ، ومعاملة الجيل البشرى بكل ما فيه من علماء وعقلاء وأدباء ومفكرين ومؤلفين إلى جيل خاضع للنفوذ اليهودى خضوع الدواب والجمادات ، وهذا ما جاء صريحًا وواضحًا فى كتب اليهود وكتاباتهم، يعرفها المطلع على كتبهم ومخططاتهم ومطامعهم وبرامجهم، التقى هذا الذكاء الذى يعرف به اليهود قديمًا واستباحتهم لكل منكر ومستهجن فى سبيل تحقيق غاياتهم ، وقد أشار إليه القرآن إشارة لطيفة وجاء ذلك صريحًا فى الكتب التى نشرت عن أهداف

الصهيونية ومراميها أخيرًا، التقى هذا الذكاء والتخطيط الرهيب الدقيق المبيد للفضائل الإنسانية ومساعى الأنبياء والمصلحين وتعليمات الدين، مع القوة المسيحية ووسائلها وإمكانياتها رغم وجود أكبر تناقض فى الديانتين ، فالمسيحيون يؤمنون بأن المسيح ابن الله ، واليهود يتهمونه وأمه وينسبون إليهما ما يعلمه الجميع.

وقد احتضنت ذلك وتبنته بعض الدول المسيحية الغربية ،وعلى رأسها الحكومة الأمريكية، وذلك بانخداع أكثرها ووقوعها فريسة للنفوذ الإسرائيلى المهيمن على السياسة والصحافة والآداب ووسائل الإذاعة فى أمريكا وخارجها ، فأصبح ذلك محاولة إبادة معنوية خلقية عقائدية بالنسبة للمسلمين بصفة خاصة، لأنهم هم وحدهم أصحاب دين خالد عالمى قوى، وأصحاب حكومات كثيرة ولا يزالون أصحاب قوة إيمانية ودوافع إصلاحية ثورية فكانوا هم الخطر الأكبر على هذا المخطط اليهودى المسيحى

وعائقًا أكبر فى سبيل تحقق أمانى اليهود ونجاحها.

وكان من ضمن تلك الجهود والمؤامرات والمخططات القضاء على قوة المسلمين الإيمانية والمعنوية، وفى مقدمتها محاولة القضاء على شخصية الأمة الإسلامية المميزة ورسالتها ، بالدعوة إلى التجرد من المبادئ الدينية ، والقيم الخلقية ، والميزات الإيمانية ، فتعيش حياة جاهلية كالجاهلية الأولى أو كحياة الدواب والأنعام فى غابة أو صحراء.

ثم استعانت أخيرًا بالدعاية ضد التنمية التى عرف بها المسلمون بصفة خاصة بفضل تعليماتهم الدينية الطبعية ويشكلون بذلك خطرًا على الجبهة المعادية لهم ، والقوة العمرانية والمدنية والعسكرية ضد الجبهة اليهودية والمسيحية، فبدأت بعض القيادات المتآمرة والمؤتلفة ضد مستقبل الإسلام والمسلمين وقوة المقاومة التى يملكونها بإقناع بعض

الحكومات الإسلامية والقيادات المسلمة بوضع العوائق والعراقيل فى سبيل التنمية فى الأقطار الإسلامية ، هذا إلى غير ذلك من المخططات والمؤامرات الدقيقة التى تحاك للتخلص من نفوذ المسلمين المعنوى والعددى والمبدئى والعقائدى.

فليكن المسلمون بصفة عامة والحكومات والقيادات المسلمة بصفة خاصة على حذر من هذه المؤامرات والمخطط التدميرى ويكونوا على بينة من الأمر ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وما علينا إلا البلاغ .

هذا واقع العالم الإسلامى الذى يجب أن يتغير، وفى صالح الإنسانية أن يتغير ، وفى صالح مصير الإنسانية أن يتغير هذا الواقع ، ويرجع العالم الإسلامى إلى ما كان عليه فى قرون مشهود لها بالخير فى زمن عظمة الإسلام ومجده ، ولا خير ولا لذة فى الحياة ما دام العالم الإسلامى هكذا،

ولا لذة لملتذ ، ولا عزة لمعتز ، ولا قوة لقوى، إذا كان العالم الإسلامى بهذه الصفة .

وقادة الأقطار الإسلامية السياسيون ، وحكام البلاد الإداريون مخيرون بين سياستين ومنهجين للعمل:

الأول : أن يثبتوا غيرتهم على الإسلام وتمسكهم به ودفاعهم عنه ، وإيثارهم له على ديانات أخرى، ومناهج أخرى للعقيدة والسلوك ، والقيم والأقدار والمبادئ ، والحضارات مع الاستعداد للانتفاع بالعلوم العصرية والاكتشافات الحديثة، والتقدم العلمى والصناعى «والحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها » وتطوير النظام التعليمى ، والصناعى، حسب مقتضيات الزمان، وبمقابلة العلم بالعلم، والقوة بالقوة، والصناعة بالصناعة.

وبهذا المنهج للقيادة ، والإدارة ، والسياسة، وبهذا الموقف الهادئ الحكيم ، المؤسس على

الإخلاص لله وخشيته ، ومجاراة الأمة فى مشاعرها، ومراعاة ما تدين وتتفانى فى سبيله وتغار عليه، والاعتراف بالحقيقة والواقع، وعدم إضاعة القوة والوقت فى تحصيل ما يثير سخط الأمة وما يفقد ثقتها وما يستنفد القوى والطاقات فى غير طائل، يحرز هؤلاء القادة والحكام، بحسب السنة الإلهية والوعود القرآنية ، وما تحقق وثبت بالتواتر فى التاريخ الإسلامى القيادى، حبًا وإخلاصًا، وتفاديًا وتفانيًا من الشعب المسلم ، وأهل البلاد المسلمين (الذين يكونون الأكثرية ويملكون النفوذ والتأثير) والتأييد التام والتحمس العام فى تحقيق مطالبهم، وتحقيق غاياتهم ، والحرص على بقائهم فى مراكز سلطتهم ، ومكانتهم فى القيادة والزعامة يحرزون إخلاصًا وتحمسًا ، لا يجدونهما عن طريق الإرهاب أو الترغيب والمراقبة والتفتيشات ، والعقوبات والاعتقالات ، وحتى عن طريق تأييد

الحكومات الأجنبية والأساليب الاستراتيجية، وعن طريق الصحافة والإذاعة ، والنشر ، والدعاية ، وصدق الله العظيم :

﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ﴾[1] وبذلك تتفادى البلاد الكثير من المؤامرات والمشاغبات، وبذل القوة والجهد فى القضاء على المخالفات والثورات ، وعلى وجود القلق وعدم الارتياح فى نفوس عدد أكبر من أفراد الشعب المسلم وعدم وجود التحمس فى نفوس الأكثرية من الشعب لمقاومة هجوم أجنبى أو غارة خارجية.

أما إذا كان الواقع ضد ذلك ، وكان بين القادة والحكام وبين أفراد الشعب ـ الذى يشكلون الأكثرية وعليهم العمدة فى الأمن والرفاهية والأزمات والخطوب ـ خليج عميق واسع فى الاتصال بالدين

(١) الأنفال : ٦٢ .

وحبه والغيرة عليه والحرص على تطبيقه فى الحياة وتنفيذه فى المجتمع والحكومة ، بل كانت هنالك مظاهر وأمارات خفية أحيانًا وجلية أحيانًا أخرى، فى عدم ارتياح هؤلاء القادة والحكام لتعاليم الدين الإسلامى الحنيف ، وتخوفهم من نفوذه وسيطرته على نفوس الشعب وعقوله ، وإشفاقهم من تحمس الشعب الدينى وغيرته عليه، والمناداة به ، والمطالبة فى بعض الأحيان بتنفيذ بعض أحكام الشريعة الجلية، الرئيسية، أكثر من إشفاقهم من تهديد عدو فى الخارج، وتحد أجنبى ، وقد يكونون فى بعض الأحيان منفذين لإشارات من دولة أجنبية كبيرة، مرددين لصوتها، محققين لغرضها ، كالتخوف من التمسك بالمبادئ ، أو المبدئية والأصولية، (fundamentalism) الذى يدخل فيه التمسك بتعاليم الإسلام والوقوف عند حدوده ، وأوامره، وتحليل ما أحل وتحريم ما حرم، فيكون فى ذلك

وجود قلق وعدم ارتياح ، وصراع فكرى وشعورى فى الشعب، كانت الشعوب الإسلامية والبلاد الإسلامية فى غنى عنه.

وبهذا التباعد بين القيادات والسلطات ، والشعوب والجماهير تنشأ فجوة عميقة واسعة بين القادة والحكام، وأهل البلاد المسلمين الغيارى على دينهم والمحبين لوطنهم ، وعدم تفاهمهم ـ فضلا عن عدم تعاونهم ـ لا يملأ هذه الفجوة أكبر مجهود أو تأييد من حكومات أجنبية، وتفقد بذلك القيادات والسلطات أعظم ثروة وأكبر قوة ، هى بذل النفس والنفيس فى سبيل الله والاستماتة فى سبيل تحقيق ما يريده الله ورسوله ومن وفاء للأئمة المسلمين وقادة البلاد والحكام المخلصين الصالحين ، وهى قوة أبدت العجائب والخوارق فى تاريخ الإسلام الطويل الحافل ، وأخضعت البلاد والأقطار التى لا نسبة بينها وبين البلاد الإسلامية فى العَدَد والعُدَد ، والقوة

العسكرية للإسلام أو الدين الإسلامى أو الحكم الإسلامى، وهى قوة لا تزال موجودة فى نفوس المسلمين وفى الأقطار الإسلامية ـ على علاتها ومحنها أو مؤامرات حيكت حولها ـ ويمكن الاستفادة منها وتسخيرها لغايات لا تعود على هذه الأقطار الإسلامية بل تعود على العالم المتمدن المعمور بخير لا يعد له خير ، وبسعادة لا تساويها سعادة .

فهل من المعقول أن تبقى الأقطار الإسلامية فى صراع فكرى وعقائدى وقلق شعبى جماهيرى ، وعدم وجود ثقة وتقدير ، وحب وتفان بين الشعوب وأهل البلاد الذين لا تزال أكثريتها متمسكة بالدين محبة له ، غيورةً عليه ، وبين قادتها وحكامها، ويكون فى هذه البلاد جهاد فى غير جهاد، ونضال فى غير عدو ، أم من الخير ، ومقتضى الحكمة والعقل الإنسانى ـ فضلا عن

العقل الإيمانى ـ أن يكون هنالك انسجام وتوافق ، وثقة متبادلة ، بل عاطفة من الفداء والتفانى فى تأييد هؤلاء القادة المسلمين الغيارى على الدين ، المجاهدين فى سبيله، الحريصين على بقائه ، وازدهاره ، وانتصاره ، طلبا لرضا الله تعالى ، وإيثارًا للآخرة على الدنيا، وتقليدًا للخلفاء الراشدين، والحكام الصالحين والقادة المخلصين ، المجاهدين ، ويتفادوا بذلك عن كل ما هم فى غنى عنه ، من صراع وقلق ، وقمع للثورات ، وأمن من تقلب الحكومات وتجسس للمؤامرات والمخططات.

وصدق الله العظيم : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

---

(١) النور : ٥٥ .

العالم الإسلامى على مفترق الطريق

أى طريق أضمن بالنجاح ونصر الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أما بعد ! فإن التخوف من « الانتفاضة الإسلامية » قد بلغ إلى حد الحساسية الزائدة، والنظر إلى أشياء دقيقة بالمكبرة و «التجوس» (١) فى عدد من الأقطار الإسلامية والعربية ، حتى وصل ذلك إلى المخافة من العمل ببعض التعاليم الإسلامية فرديًا ، والظهور بالمظهر الإسلامى ، والتكثير من الاستشهاد بالكتاب والسنة ، والإنكار على بعض

(١) تجوس: تسمع إلى الصوت الخفى ، وفزعًا أحس به.

المنكرات ، وتقليد الغرب تقليداً أعمى ، فضلا عن المطالبة بتطبيق الأحكام الشرعية ، وتمثيل الحياة الإسلامية والطراز الإسلامى فى بلد إسلامى يحكمه المسلمون .

وقد بلغ هذا التخوف والعمل بمقتضاه كإخضاع نظام التربية ودور التعليم ووسائل النشر والدعاية، والصحافة والإذاعة ، للتخلص والأمان من النفوذ الدينى ، والغيرة الإسلامية ، والمشاعر الدينية إلى أن كان هنالك مجال مسوغ للإشفاق من الردة الدينية العقائدية ـ لا سمح الله بذلك ـ فضلا عن الردة الفكرية والثقافية ، التى بدت طلائعها وأماراتها فى كثير من البلاد الإسلامية المحكومة بالاستعمار الأجنبى ، الإدارى والثقافى ، بحكم طبائع الأشياء ونتائج الجهود والمساعى، وعدم وجود ما يقابل ذلك فى القوة والتنظيم ، والعزم والتصميم .

ومن نتائج هذا التخوف والإشفاق والحذر الشديد ، من وجود الشعور الدينى القوى فى الجماهير ، والاعتزاز بالدين ، والطموح إلى أن تسود الحياة الإسلامية ـ بجميع شعبها ومناحيها ـ على البلاد التى تدين بالإسلام من قرون متطاولة ، وفى مجتمعات ورثت الإسلام كابرًا عن كابر وجاهدت فى سبيله ، وفتحت بلادًا قاصية ، ومثلت الحضارة الإسلامية الزاهية ، وأنتجت الثقافة الغنية الزاهرة ، اللتين يندر أو يعدم نظيرهما فى تاريخ الحضارات والثقافات العالمية ، من نتائج ذلك أن ينشأ فى هذه الأقطار والبلاد التى كانت فريسة هذا التناقض البعيد الأثر، العميق الجذور ، بين الطبقات الحاكمة أو القائدة الزعيمة ، وبين الجماهير والشعوب ، صراع فكرى وعاطفى ، وعدم تحمس لتحقيق غاياتها ومشاريعها، فيكون فى ذلك تضييع قوى وطاقات ومواهب وجدارات ، كانت البلاد فى

غنى عنها ، بل كانت فى حاجة ملحة إلى تعاون وثيق متبادل ، وثقة لا غنى عنهما لبلاد تريد التقدم والاكتفاء الذاتى ، والتخلص من النفوذ الأجنبى ، فيكون فى ذلك جهاد فى غير جهاد، ونضال فى غير عدو.

ثم تكون النتيجة الحتمية لهذه العملية النقلية، غير الطبعية والعقلية ، أن تفقد هذه الأقطار الحماس الدينى والقدرة على المغامرة والمخاطرة بالنفس والنفيس فى سبيل تنفيذ أوامر الله فى خلقه، وصوغ الحياة والمجتمع وفق تعاليمه، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام [١].

وتلك خسارة لا تعوض بشىء آخر من الوسائل والطاقات ، والتعاليم ، والتقدم فى الصناعة

---

(١) كما قال ربعى بن عامر ، ممثل الجيش الإسلامى فى العراق ، لرستم قائد الجيوش الإيرانية الأكبر، راجع البداية والنهاية لابن كثير : ج٧ . ص ٣٩ ، ٤٠ .

والعلم، وبهذه الطاقة والميزة فتح العرب المسلمون ـ ومن تبعهم من الشعوب المسلمة على أيديهم ـ البلاد القاصية الغنية القوية، التى مرت على حكمها قرون متطاولة ، وأنشأت حضارة راقية واتخذت قدوة ومثالا، واعتبرت رمز تقدم وشرف فى العالم القديم، وأنشأت قانونًا انتشر فى الآفاق ، وعلومًا وآدابًا كانت سمة «للعقلانية» والتقدم، كالامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الساسانية ، وشبه القارة الهندية ، الممتازة فى العلوم الرياضية والطبية والفلسفية ، وما كان ذلك إلا لوجود الحماس الدينى، والحنين إلى الشهادة ، والشوق إلى الجنة ، والعمل بقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [١].

---

(١) النساء، : ١٠٤ .

وإذا ضاعت هذه الثروة ـ لا قدر الله ـ وهذه الميزة التى امتاز بها المسلمون الأولون، ومن كان على شاكلتهم، فى قرون تلتهم، وهو الإيمان القوى الحى بالله المتغلغل فى أحشائهم، والمسيطر على عقولهم ومشاعرهم ، والمستهين فى سبيل العمل به بكل خطر وخسارة ، ومجازفة ومغامرة ، وحب الرسول ﷺ الغالب على كل حب ، واتخاذه قدوة وأسوة ، والحرص على نشر تعاليمه وأسوته فى العالم، وإيثار الآخرة على الدنيا ، والاستهانة بزخارف الحياة ، لم يكن لذلك بديل فى ما يمتاز به الغرب من علوم وصناعات ، واختراعات واكتشافات، حتى فى القنبلة الذرية التى هى آلة التدمير الكبرى.

وقد يكون من نتائج إغفال تنفيذ الشريعة الإسلامية فى بعض البلاد الإسلامية القديمة الأصيلة، وفقد الغيرة على التشريع الإسلامى ، وتطبيق بعض

جوانب الشريعة الإسلامية فى تلك البلاد، زوال أو ضعف الغيرة الدينية فى الشعوب الإسلامية القاطنة فى بلاد عجمية قاصية دخل فيها الإسلام قديمًا عن طريق دعاة الإسلام ومجاهدى العرب، وحماسها الدينى فى سبيل بقاء الحرية فى العمل بالشريعة الإسلامية فى حياتهم الفردية والعائلية ، كما كان فى قضية المحافظة على قانون الأحوال الشخصية الخاص بالمسلمين ، حتى نجح فى ذلك المسلمون فى الهند بفضل جهدهم وغيرتهم على الدين والشريعة، رغما عن إصدار المحكمة حكما بإلغاء هذا القانون، وإيجاب العمل بقانون موحد مناف لتعاليم الإسلام وتشريعه، وصمود الشعب الهندى والصحافة فى المطالبة بتوحيد القانون ، وما كان نجاح المسلمين فى الدفاع عن قضيتهم إلا بسبب الغيرة على التشريع الإسلامى ، وحماسهم فى الدفاع عنه، هذا فضلا عن تمتعهم بالحرية فى العمل بأحكام إسلامية شرعية

عديدة كأداء صلاة الجمعة فى وقتها وفى المساجد فى وقت العمل فى الإدارات والمكاتب.

وقد فاق هذا التخطيط ـ وتنفيذه فى بعض البلاد الإسلامية والعربية ـ وهو صوغ هذه الشعوب الإسلامية والعربية ـ حضاريًا وثقافيًا وشعوريًا وعاطفيًا على شاكلة الغرب ـ وقطع صلتها عن الغيرة الإسلامية والعواطف الدينية ، والشعائر الإسلامية والهتافات الدينية ، كل تحد للوجود الإسلامى، وكل مواجهة ومقاومة للكيان الإسلامى فى القديم ، نذكر من هذه التحديات والمحاولات للقضاء على نفوذ هذه الأمة، وبقائها كأمة حرة قوية ذات نفوذ وإمكانيات فى رقاع واسعة من العالم ، ثلاثة :

الأول : الحملة الصليبية التى كانت تقودها عدة دول أوربية قوية ، وقادة محنكون ، وكان من أهدافها التسلط على القدس وفلسطين أولا ، ثم

التقدم إلى الجزيرة العربية والحرمين الشريفين ، وإفقاد المسلمين منبع دينهم ومركز شرفهم ، وكان هذا الهجوم ـ على عنفه واتساعه وتنظيمه ـ يخلو من تخطيط دينى وحضارى بديل ، وهدف القضاء على العقيدة الإسلامية والمشاريع الدينية، وقد قيض الله لمقاومة هذا الهجوم العنيف الخطر، قائدًا بطلا مؤمنًا، وهو السلطان صلاح الدين الأيوبى فجمع تحت لوائه ـ لنزاهته وإخلاصه وبعده عن المنافسات الدولية ، والمطامح الشخصية ـ الشعوب الإسلامية والعربية ، وهزم الصليبيين هزيمة منكرة ردتهم على أعقابهم وقطعت آمالهم ومطامحهم .

وكان المثال الثانى الهجوم التتارى الذى لم يكن له مثيل فى العنف والقسوة والهمجية فى تاريخ الإنسانية القريب ، فضلا عن التاريخ الإسلامى المحدود ، وقد تم لهم الفتح وإبادة الأقطار الواسعة ذات الحضارات الراقية ، والقوة العسكرية الفائقة ،

كتركستان وإيران والعراق والشام ، وقد اقترن فتحه للبلاد بالخضوع العقلى والعاطفى لانتصارهم ، وتفوقهم فى الفنون الحربية ، حتى كان المثل السائر، صدق كل شىء، ولكن إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدق .

ولكن لم يكن هذا الهجوم مدعما بحضارة أو عقيدة أو دعوة ، إنما كان هجومًا عسكريًا مدوخًا مدمرًا، لم يفكر قادته فى حين من الأحيان فى أن يقدموا بديلا للدين الإسلامى أو الحضارة الإسلامية، فكان غير جدير بالبقاء طويلا ، وغير لائق بملأ فراغ أو إبدال حضارة بحضارة ، ودين بدين ، وقانون بقانون ، فاستطاع بحول الله وتوفيقه العلماء الربانيون، والدعاة المخلصون ، والوزراء المسلمون، نقلهم من لا دين إلى دين ، ومن الجاهلية إلى الإسلام ، وأسلم التتار على بكرة أبيهم ، وأسسوا دولا إسلامية قوية واسعة ودافعوا عن الإسلام (إذا

احتيج إلى ذلك) وكان منهم علماء ومؤلفون ، وصالحون وربانيون [١] .

ويتلو هذين التحديين للإسلام والبلاد الإسلامية، الاستعمار الغربى المنبسط فى عدد محدود من البلاد الإسلامية والدول الإسلامية ، إدارة وحكما وسياسة ونفوذًا ، والمسيطر على عدد أكبر ثقافة وتفكيرًا ، وقيمًا ومفاهيم ، وخضوعًا فكريًا ، وقد زال هذا الاستعمار ــ إداريًا وسياسيًا ــ من أكثر البلاد الإسلامية، وكان العدد الأكبر من قادة الحرب ضد الاستعمار الأجنبى الأوربى من علماء الدين ، والمتدينين من زعماء المسلمين ، وكان لذلك الأثر الأعمق فى نفس الشعب ، لاقتران هذه المقاومة بتعاليم الدين واستخدام لغة الدين والتعاليم الإسلامية لتحرير البلاد ، ولكنه لا يزال مسيطرًا

(١) راجع للتفصيل كتاب المؤلف «رجال الفكر والدعوة فى الإسلام » الجزء الأول ، وكتاب البروفيسور آرنلد (Preeching of Islam) وكتاب Changez لمؤلفه هيرلد ليمب .

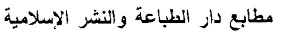
على كثير من الأقطار الإسلامية فكريا وثقافيًا ، وقيمًا ومفاهيم ، وإصابة بمركب النقص.

أما الخطران الأولان الهجوم الصليبى والهجوم التتارى فلم تكن معهما دعوة ولا حضارة ولا فلسفة، ولم تكونا تقدمان بديلا للدين الإسلامى وحضارته ، ومجتمعه ، وكانا بالطبيعة هجومين عسكريين ، وغارتين إقليميتين محدودتين، ولم يكونا يملكان ما يملأ فراغ دين وعقيدة، وحضارة وثقافة ، بخلاف الخطر المعاصر الذى يواجه الأقطار الإسلامية العربية المعاصرة، ويتحدى بقاء تأثير الدين الإسلامى فى الجيل الجديد ، ودوره فى صوغ الحياة وتكوين العقليات، ومواجهة المقاومات ، فلذلك هو أحق بأن ينتبه له ويحسب له حساب ، ويعنى به المعنيون بالإسلام ، وبقائه بنفوذه ومكانته فى البلاد الإسلامية والعربية ، وقدرته على القيام بدوره فى

الاتصال بالله والرسول ، وبقاء العقيدة الإسلامية والغيرة عليه ، بل التحمس لها ، والحرص على نثرها ونشرها .

رقم الإيداع : ١١٠٤٣ / ١٩٩٧ م

الترقيم الدولي
I . S . B . N . 977-5826-35-7


مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٢٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣



دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر ـ المنصورة

٣٨ ش الثورة (السكة الجديدة) ت ، ف: ٣٤٣١١٥ ص. ب:١٦٧